مداواة الأخلاق الفاسدة

إن تغيير الأخلاق الفاسدة وارد وممكن وليس مستحيلًا ولا متعذرًا فباستطاعة الإنسان اكتسابها وافتعالها، وتطبيع نفسه عليها، وغالبًا ما يكون ذلك شاقًا على النفس.

ولو كانت الأخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، بل لما كانت هناك فائدة في إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وقد دلَّ على ذلك أدلة شرعية من الكتاب والسنة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

ولابد أن نعلم أن العلم بالتعلم، وأن الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه، ومن يتصبر يصبره الله.

ورد في كتب السلف أن سعيد بن العاص رضي الله عنه قال: «يا بني إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسبقكم

إليها اللئام، ولكنها كريهة مرة، ولا يصبر عليها إلا من عرف فضلها ورجا ثوابها»، وها هي طرق مداواة الأخلاق الفاسدة:

١- التغلب على سوء الخلق:

الأخلاق قابلة للتغيير والتبديل من السيئ إلى الحسن ذلك لأن الحلم والصبر من الأخلاق بل من أساسياتها وجوهرها، ومع ذلك يمكن اكتسابها بافتعالها والمجاهدة في تحصيلها وحمل النفس عليها.

والدليل على ذلك حال الصحابة بعد إسلامهم، فقد كانوا قبل الإسلام يتصفون بالشدة والقسوة والغلظة، كسائر العرب، ولكن تغير حالهم بعد ما دخلوا الإسلام فقد خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، ورقت طباعهم وحسنت أخلاقهم فأصبحوا قدوة لغيرهم، ومثالًا يُحتذى به، وقدوات يقتضى أثرهم في الكرم والسماحة والحلم والثبات، والصبر، ونحو ذلك من أصناف الأخلاق الفاضلة.

٢- التغلب على الجهل وضعف العقل:

* إن ضعيف العقل جاهل، والعاقل من ميز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها.

والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه، إما لقلة علمه وتميزه وضعف فكرته، وإما لأنه يقدر أن عيوبه خصال أي لا يمكن الخلاص منها وهذا أشد عيوب البشر.

* فمن خفيت عليه عيوب نفسه سقط، وصار من السخف والضعف والرذالة والخسة وضعف التمييز والعقل، وقلة الفهم بحيث لا يتخلف عنه متخلف من الأرذال.

فليتدارك نفسه بالبحث عن عيوبه والاشتغال بذلك من الإعجاب بها، وعن عيوب غيره التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة فيجب على المرء أن يرجع إلى نفسه، فإذا ميز عيوبها فقد داوى عيبه، ولا يقارن بين نفسه وبين

من هو أكثر منه عيوبًا فيستسهل الرذائل وفساد الأخلاق، ويكون مقلدًا لأهل الشر.

٣- التغلب على العجب بالنفس:

يجب أن يُماثل الإنسان بين نفسه وبين من هو أفضل منه في الأخلاق، فحينئذٍ يزول العجب ويفيق من داءه العضال القبيح.

وإن أعجبت بآرائك فتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها وإياك والاستخفاف بالناس لأن فيهم بلا شك من هو خير منك فإذا استخففت بهم استخفوا بك[1].

وإن أعجبت بطاعتك فتفكر في معاصيك وفي تقصيرك وفي معايبك، فسوف تجد من ذلك ما يغلب خيرك ويزيد على حسناتك.

---

(1) **انظر**: «رسالة الأخلاق» لابن حزم.

٤- التغلب على العجب بالعلم:

وإن أعجبت بعلمك فاعلم أنه لا خصلة لك فيه، ولا فضيلة لك فيه، وإن ذلك ما هو إلا موهبة لك من الله تعالى، فلا تُقابل هذه الهبة بما يسخط الله تبارك وتعالى، فلعله إن عصيته ينسيك ذلك العلم بعلة يمتحنك بها تولد عليك نسيان ما علمت وحفظت، والعلم موضع تواضع وشكر لله تعالى، واستزادة من نعمه، واستعاذة من سلبها، ووجب على صاحب العلم أن يُؤدى شكر هذه النعمة بأن يعلمه لإخوانه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وأن يعمل بما علم وإلا سيكون علمه حجة عليه لا له.

٥- التغلب على العجب بالشجاعة:

وإن أعجبت بشجاعتك؛ فتفكر فيمن هو أشجع منك، ثم انظر في تلك النعمة التي أعطاك الله إياها، ومنحها لك بفضله وقدرته فيم صرفتها؟ فإذا كنت في معصية فأنت أحمق؛ لأنك بذلت نفسك فيما ليس ثمنًا لها.

وإن كنت صرفتها في رضا الله تبارك وتعالى وطاعته ومساعدة الضعفاء ولكنك معجب بنفسك؛ فقد أفسدتها بعجبك، ثم تفكر في زوالها بالشيخوخة أو المرض.

٦- التغلب على العجب بالجاه والمال:

وإن أعجبت بجاهك وأموالك فتفكر في من هو أكثر منك أموالًا وجاهًا، وتذكر المنعم عليك بهذه النعم، وتفكر في قدرة الله على نزع هذه النعم منك، فانظر أخي الكريم إلى ملك هارون الرشيد وتمعن في هذه القصة.

قال ابن السماك للرشيد، وقد دعا بحضرته بقدح فيه ماء ليشربه، فقال له: «يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة، بكم كنت ترضى أن تفتدي من ذلك؟ قال: بملكي كله!! ثم قال ولو أن هذه الشربة احتبست في أحشائك فبكم كنت تعالج نفسك منها؟ قال هارون: «بملكي كله إن تطلب الأمر ذلك».

قال ابن السماك: أتغتبط بملك لا يُساوي بوله ولا شربة ماء غاد ورائح، وربما يزول عن صاحبه إن استعمله فيما يغضب الله تبارك وتعالى»!!

فالعجب بالمال سخف، والثقة به غرور وضعف، أخي الفاضل: لا تتعال على أحد من إخوانك، ولا تعجب بنفسك بسبب مال أو جاه أو سلطان أو حسن مظهر أو جمال منظر أو غير ذلك فكل ذلك إلى زوال، ولن يبقى لك إلا العمل الصالح والأخلاق الفاضلة.

٧- التغلب على العجب بالأهل:

الناس كلهم سواسية، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

والناس كلهم أولاد آدم، وآدم من تراب وبالرغم من أن آدم خلقه الله تبارك وتعالى بيده، وأسكنه جنته وأسجد له ملائكته، إلا أن ذريته قليلو النفع وفيهم كثير من

العيوب والفجور، والكفر، وإذا فكر العاقل علم أن فضل آبائه لا يقربه من الله تبارك وتعالى، ولا يكسبه وجاهة، حيث إن كل إنسان تُقدر قيمته بقدر علمه وعمله وعبادته، ولله در القائل:

لَيسَ الفَتَى مَنْ قَالَ أَبِي

وَلَكِنَّ الفَتَى مَنْ قَالَ هَا أَنَا ذَا

فلا تعجب بفضل آباءك ولا مكانتهم، ولكن اسع إلى أن تكون فاضلًا بنفسك وعلمك، فلن ينفعك عمل آباءك ولا أجدادك ما لم تكن مثلهم، فقد مات ابن نوح كافرًا وكان أبوه نبي وأبو لهب عم النبي ﷺ من أهل النار وكان أقرب الناس إلى أفضل خلق الله تعالى وكان هناك من لهم الشرف كله فما انتفعوا بذلك بسبب كفرهم وضلالهم.

فالعجب داء قاتل ومهلك لأصحابه، وهو أصل يتفرع عنه التيه والزهو والتكبر والتعالي.

فإياك أخي الحبيب من العجب بشيء فيك، وإياك من العيب للآخرين فمن استخف الناس فهو أشد الناس استسهالًا للعيب ليس بالقول بل بالفعل، ويظهر ذلك في مشافهات أهل البذاءة والأرذال من الناس.

قواعد تحصيل الأخلاق الفاضلة:

لابد لمن أراد تحصيل الأخلاق الفاضلة من (صدق، وصبر، ورحمة، وبر، وحسن تعاملات مع الآخرين) أن يعتني بعدة أمور أهمها:

١ - أن يستعين بالله - تبارك وتعالى - على ذلك، وأن يُكثر من الدعاء طالبًا منه عَزَّ وَجَلَّ أن يجعله على صراط مستقيم وعلى خلق قويم، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيده قلوب العباد يقلبها كيف يشاء، وما خلق من دابة إلا هو آخذ بناصيتها.

فقد كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق و سوء الأعمال والأهواء**»(١).

وكان ﷺ يقول: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، إنه لا يُهدي لأحسنها إلا أنت**»(٢).

فقد كان النبي ﷺ لا يترك دعاء ربه - تبارك وتعالى - مع أنه أكمل الناس إيمانًا وأحسنهم أخلاقًا.

فكيف بنا نحن؟ وكم مقدار حاجتنا وحاجة مجتمعنا إلى ذلك؟

٢- عدم ترك الأمور على أعنتها، وعدم ترك الأخطاء تمر دون وقفة مع النفس وضرورة حسابها، فالنفس كالطفل إن عودتها على خير تعودت عليه، وإن عودتها على سوء تعودت عليه، فالنفس تستلزم المراقبة، وقوة الملاحظة والمحاسبة المستمرة.

---

(1) رواه النسائي وأبو داود.

(2) رواه مسلم في «المسافرين».

٣- تدريب النفس ومجاهدتها، ورياضتها في تحصيل الفضائل، ونبذ الرذائل وسيئ الطباع والصبر على ذلك.

٤- الجد في تحصيل معالي الأمور، والترفع عن سفاسفها ودناياها، والسعي دائمًا في طلب وتحصيل الأخلاق الفاضلة.

٥- النظر في الآثار المترتبة على حسن الخلق، وما أعده الله لأهلها في الدنيا والآخرة، واحتساب الأجر على ذلك عند الله تعالى.

والتفكر في عواقب سوء الخلق، وما يجلبه لصاحبه في الدنيا من الهم والحزن والشقاء، فكم كانت الأخلاق الفاضلة سببًا في سعادة كثير من الناس، وكم كانت الأخلاق الفاسدة سببًا في شقاء كثير من الناس، فالأخلاق الفاسدة تجلب لصاحبها الشقاء والحسرة والندامة والعذاب في الدنيا والآخرة.

٦- علو الهمة في طلب الأخلاق الفاضلة، والتخلص من الأخلاق الرديئة، قال ابن القيم في «كتاب الفوائد»: «فمن علت همته، ونشطت نفسه اتصف بكل خلق جميل، ومن دنت همته وطغت نفسه اتصف بكل خلق دنيء».

٧- المداومة على ذكر الله - تبارك وتعالى - ولزوم الاستغفار والمحافظة على الصلاة في أوقاتها، فإن الاستغفار يذهب الهم والحزن ويجلب الرزق.

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»(١).

---

(١) رواه ابن ماجه في [كتاب الأدب] (٥٧).

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما أن ذكر الله -تبارك وتعالى- يعصم صاحبه من الشيطان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فتزكية النفوس بطاعة الله -تبارك وتعالى- من أعظم ما يكسب الأخلاق الفاضلة وخاصة إذا تحقق فيها الإخلاص لله تبارك وتعالى.

٨- مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة، والحذر من جلساء السوء فالمرء على دين خليله كما ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا كان صاحبك يتمتع بالأخلاق الفاضلة فلا شك أنك ستكون مثله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ

زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

يقول الطبري في تفسيره: «واصبر يا محمد نفسك مع أصحابك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها، يريدون بفعلهم ذلك وجهه لا يريدون به عرضًا من عرض الدنيا»(١).

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجليس السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ**

(١) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٥٤).

مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا خَبِيثَةً»(١).

يروى أن الأحنف بن قيس قال: «كنا نختلف إلى قيس ابن عاصم نتعلم منه الحلم كما نتعلم الفقه».

ويقول ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل جليس لا يستفاد المرء منه خيرًا تكون مجالسة كذا خيرًا من عشرته، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم، كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم»(٢).

فمما سبق يظهر لنا أهمية الصحبة، وحسن اختيارها وأنها تكون على أساس الدين والصلاح، حتى ولو كان صاحبك الذي اخترته من الفقراء أو المعدمين، بخلاف من يجب عليك ترك صحبته من أصحاب الصفات

---

(1) **حديث صحيح**: رواه البخاري (٣/ ٣١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦)، وأحمد (٤/ ٤٠٨)، من حديث أبي موسى الأشعري.

(2) **انظر**: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص:١٠١).

الذميمة، وإن كانوا أصحاب مال أو جاه فلا تغتر بصحبة الأشرار حتى ولو أعجبتك أجسامهم ومناظرهم.

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(١).

فالعبرة عند اختيار الصديق لا تُقدَّر بوزن الجسم وبسطه أو منظره، ولا بكثرة المال ووفرته، ولا بسطوة الجاه وعلو المرتبة، وإنما بالأخلاق الفاضلة والتقوى والعمل الصالح، فالفقير أو الضعيف أو المعدم إن كان من أهل الصلاح والتقوى والأخلاق فلا مانع من أن يكون صديقك وصاحبك، لأنه هو الذي سيأخذ بيدك إلى طريق الفلاح والنجاح، وذلك بأخلاقه الفاضلة، وتقواه لله - تبارك وتعالى - وأما الغني أو الشريف أو

---

(١) **حديث صحيح**: رواه البخاري (٣/ ١٥٧)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧) من حديث أبي هريرة.

صاحب السلطان والجاه إن كان من أهل الفساد والأخلاق الرديئة فابتعد عنه فإنه إما أن يُضرك بسوء فعله، أو قبيح قوله، أو سوء خلقه، وإما أن يسؤك بذميم تصرفه وإن لم تكن مقصودًا به.

ومن فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة والأخلاق الفاضلة ما قاله الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في حديث الجليس الصالح قال فيه: «فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، ونهي عن مجالسة أهل الشر وأصحاب البدع، ومن يغتاب الناس أو يكثر فجوره ومعاصيه ونحو ذلك من الأنواع المذمومة من الأخلاق»[1].

وفي الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ،**

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٥/ ٤٨٤).

فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ وأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: يَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

---

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (٤/ ٤١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٩). وغيرهما من حديث أبي هريرة.

أخي الحبيب: انظر إلى هذه المنة العظيمة والمكافأة الكبيرة من الله - تبارك وتعالى - لطلاب العلم ولجليس الصالحين في مواطن الذكر والعبادة وعمل الصالحات، وإن لم يشاركهم في عملهم هذا فالمرء مع من أحب كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ، فمن أحب الصالحين فهو معهم يوم القيامة، ومن أحب المفسدين فهو معهم يوم القيامة، ولله در القائل:

أَحبُ الصَالحِين وَلستَ مِنهم

لعلَّي أَنْ أنالَ بهم شفاعةً

وقال آخر:

والنَّاسُ خيارُ الناسِ أَين لَقيتُهم

خيرُ الصحابةِ مَنْ يكونُ ظَريفًا

والنَّاسُ مثلُ دَراهمَ مَيزتَهَا

فَرأيتُ فيها فضةً وزيوفًا

وقال آخر:

عَنْ المرءِ لا تَسألْ وسلْ عَنْ قرَينِه

فَكلُّ قَرينٍ بالمقارنِ يَقتدِي

وقال آخر:

ابلْ الرجالَ إِذَا أردتُ إِخاءَهم

وَتوسمنَّ أَمورُهم وَتفقدْ

فَإِذا وجدتَ أخا الأمانةِ والتُقى

فَباليدينِ قَريرُ عينٍ فاشددْ

وَدعْ التذللَ والتخشع تَبتغِي

قُرب امرئٍ إنْ تدنُ مِنه تبتعدْ

وعن الحسن البصري قال: «المؤمن مرآة أخيه إن رأى فيه ما لا يعجبه سدده وقومه، وحاطه وحفظه في السر والعلانية، وإن لك من خليلك نصيبًا من ذكر من أحببت

فتشقوا بالأصحاب والإخوان والمجالس، وإما أن يكونوا سببًا للنعيم».

وعن ابن عيينة قال: «من أحب رجلًا صالحًا فإنما يحب الله تبارك وتعالى».

وعن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ **قال:** «إن الله ليحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس».

وعن ابن حبان قال: «العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويُفارق صحبة الأشرار، لأن مودة الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار تُورث سوء الظن بالأخيار، ومن هادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم»، فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب؛ لئلا يكون مريبًا فكما أن صحبة الأخيار تُورث الخير، كذلك صحبة الأشرار تُورث الشر، فيجب على المؤمن أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة وتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ ، لأنه هو اللباس

الدائم النافع في الدنيا والآخرة، فكثير من الناس يهتم بملابسه ومظهره على حساب الاهتمام بالبواطن والانشغال بها عن القلوب والأخلاق، فمن اهتم بملابسه ونسي أخلاقه فقد ظلم نفسه ظلمًا كثيرًا، يقول ابن العربي: «ليعرفك أن الشرف والقدر إنما هو للتربية لا للتربة» ويقصد بالتربية الأخلاق ويقصد بالتربة الجسد، ولله در القائل:

يَا خادمَ الجسمِ كَمْ تَشقَى لِخدمتِه

أَتعبتْ نَفسكَ فِيمَا فِيه خُسرَان

أَقبلْ عَلى النَّفسِ وَاستكملْ فَضائلَها

فَأنتَ بِالنفسِ لاَ بِالجسمِ إِنسانُ

فإن جمال المظهر والمنظر لا يُغني عن جمال الباطن، وقبح الباطن يفسد الكثير من جمال الظاهر، ولذلك على المؤمن أن يتحلى بمكارم الأخلاق، وحسن الأدب وزينة

التقوى؛ فإنها هي الزينة الحقيقية التي تروق للجميع وأهم من ذلك أنها ترضى الله - تبارك وتعالى - وتبقى لصاحبها إلى أبد الآبدين فلا تبلى ولا تفنى بل تنفع صاحبها في الدارين الدنيا والآخرة.

٩- تجنب العبوس والتقطب والنزق، وتكلف البشر والطلاقة، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**»(١).

وورد عنه ﷺ أنه قال: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(٢).

فالبشر وطلاقة الوجه والعفو والصفح ومقابلة الإساءة بإحسان لها أثر بالغ في طرد الشيطان، وقطع أطماعه في تغيير النفوس بوسوسته.

---

(1) رواه الترمذي [باب البر] (٣٦).

(2) رواه مسلم في «البر» (١٤٤)، وأبو داود في «اللباس» (٢٤)، والترمذي في «سننه».

١٠- لزوم الحياء والتخلق به، فإنه كله خير، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الحياء والإيمان مجتمعان فإذا ذهب الحياء ذهب الإيمان**»(١).

وقال: «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»(٢).

وقد قيل: «من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه».

١١- الاقتداء برسول الله ﷺ والتأسي به، والسير على منهجه، وإدامة النظر في سيرته ﷺ ففيها أعظم صورة وأكمل قدوة لنا عرفتها الإنسانية وأكمل هدى وخلق في حياة البشرية جمعاء.

١٢- ضرورة النظر والتدبر في سير الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وقراءة سير أهل الفضل والحلم فهم خير الناس بعد رسول الله ﷺ.

---

(1) رواه أحمد في «المسند».

(2) رواه البخاري في [باب الأدب] (٧٧)، ومسلم في «صحيحه».

ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...**»(١).

❁ ❁ ❁

(1) رواه مسلم في «فضائل الصحابة» (٢١٠)، وأحمد (٢/ ٣٢٨).